قَبَسٌ مِنَ «البَيِّنَات»..

(١)

وقفاتٌ

مع ما كان عليه سلفُنا الصَّالح –رحمهم الله تعالى–

مِن المواقف المُشَرِّفَةِ المُشْرِقَة

مِن أهل الأهواء والبدع والضَّلال والشَّرِّ والأخطاء

لفضيلة الشيخ

نزار بن هاشم العباس

–حفظه الله ورعاه–

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛ فإنَّه -بحمد الله- لما كان دين الله الإسلام القائمُ على كتاب الله تعالى وسنَّة نبيِّه -صلى الله عليه وسلَّم- الصحيحة على فهم السَّلف الصَّالح قد تكفَّل الله بحفظِهِ ورعايتِهِ ((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)) وهو كاملٌ تامٌّ شاملٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ((**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**)).

فقد هيَّأ اللهُ سلفَنا الصالح ووفَّقهم كلَّ التَّوفيق للوقوف الصَّلب تجاه من خالف شرعَه من أهل الأهواء والبدع "**صيانةً**" و"**حمايةً للدين وأهلِه**". ذاكُم الموقف العظيم لم يكن نتاجَ فكرٍ بشريٍّ كاسدٍ فاسدٍ أو إملاءَ حزبيَّةٍ ضيقةٍ، وإنَّما نبعُهُ الإسلامُ نصوصهُ وأصولُهُ وسيرةُ نبيِّنا -صلى الله عليه وسلم- وصحابته -رضي الله عنهم جميعاً-[1] وقاعدتُه "**الولاء والبراء**" عبادةً وقربةً إلى الله تعالى.

هذا الموقف من المخالفين لشرع الله تعالى الذي أحياه وعمَّره سلفُنا الصَّالح غاياته عظيمةٌ لِمَن بصَّره الله وهداه. مرتكزاته وأصوله قامت على:

١. المحافظة -بالرعاية والصِّيانة- على نَقَاء الإسلام وجمالِ وصورته.

٢. الدِّفاع والذَّبُّ عن الإسلام وأهله العلماء وأتباعهم.

٣. زجرُ وردعُ كل من تسوِّل له نفسُه العبثَ أو التَّشويهَ للإسلام وشرائعه وشعائره.

٤. تحذير عامَّة المسلمين وتحريزهم من المخالفين ومخالفتهم التي انحرفوا بها عن الصِّراط المستقيم.

٥. الحرص على هداية الأمَّة الإسلاميَّة وتثبيتها على دينها العظيم (من الموافقين أو المخالفين).

وهذا وغيره ما اشتمل عليه وأرشدَ وبيَّنه قولُه -صلى الله عليه وآله وسلَّم-: "**الدِّين النَّصيحة. قلنا: لمن؟ قال: للَّهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهم**".

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**"، و"**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**".

---

(١) وحول هذه المواقف التي سار عليها السلف -رحمهم الله تعالى- راجع قريباً -بحول الله تعالى-: "الإتحاف بأدلة أقوال ومواقف الأسلاف".

وقوله -صلى الله عليه وسلَّم-: "**إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**".

وقوله -صلى الله عليه وسلَّم-: "**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النَّعم**"!

مع تذكُّر -وعدم نسيان- حديث عائشة -رضي الله عنها-: "**ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله عز وجل**".

وتَذَكُّرِ أنَّه -صلى الله عليه وسلم- هَجَرَ وأمَرَ بهجرِ المتخلِّفين عن الغزو معه (مع فضلهم وجلالتهم).

إلى غير ذلك من النُّصوص الكثيرة في الكتاب والسنة الدَّالَّة والمؤيِّدة لموقف السَّلف الصالح من المخالفين والمنحرفين.

وبالنَّظر والتَّأمُّل في كتب السلف[٢] وسيرهم -رحمهم الله تعالى أجمعين- تجد موقفهم من أهل الأهواء والبدع والمخالفين يظهر بكلِّ جلاءٍ وأدنى تأمُّلٍ في الآتي:

١. كشف عقائد أهل الأهواء والبدع ومناهجهم وما هم عليه من الخطأ والضَّلال والانحراف.

٢. الرَّدُّ عليهم إجمالاً وتفصيلاً، وتصريحاً وتلميحاً، وتخطئتهم وبيان حالهم!! ويتبعه لأجل ذلك؛

٣. إقامة الحجَّة عليهم، وما يترتَّب على ذلك بضوابطه من تكفيرٍ أو تبديعٍ أو تفسيقٍ.

٤. رفعُ أمرهم إلى السُّلطان لقطع شرِّهم ومادَّة فسادهم إمَّا بالقتل أو الحبس والنفي عن الأرض، أو الجلد والتَّشهير!! أو قتالهم وحربُهُم، كلٌّ بحسب حاله. وكم بفضل الله من سلطانٍ لله في أرضه قمَعَ وكسَرَ شوكتَهم عادلاً كان أو جائراً؛ فإنَّ الله ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاجر كما صحَّ في ذلك الأثر: "**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**".

٥. التَّحذير منهم بأسمائهم وأعيانهم وأوصافهم، والتَّنفير والزَّجر عنهم.

(٢) كـ(شرح السُّنَّة) للبربهاريِّ، و(الشريعة) للآجُرِّيِّ، و(الإبانة الكبرى، والإبانة الصُّغرى) كِلاَهُما لابن بطَّة العكبريِّ، و(أصول السُّنَّة) لابن أبي زمنين، و(شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة) للاَّلكائيِّ.... إلخ -رحمهم الله جميعاً-.

٦. عدم السلام عليهم وعدم مصافحتهم.

٧. عدم مجالستهم ومخالطتهم.

٨. عدم مؤاكلتهم ومشاربتهم.

٩. زجرُهُم وردعُهم وإذلالهم.

١٠. عدم تلقِّي العلم وأخذه عنهم والتَّحذير من ذلك كل التحذير[٣].

١١. عدم الإرشاد والتَّوجيه والإشارة إليهم.

---

(٣) أمَّا رواية حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– عن أهل البدع لحفظه وإثباتِهِ فاشتَرَطَ لها السَّلفُ أهلُ الحديث في الرَّاوي –مع شروط قبول الرواية المعتبرة– عدم دعوته إلى بدعته وضلالته، بل رَدُّوا حديثَه إذا أيَّدَ به ذلك ولم يشهد لروايته غيره أو ما يتابعها مما يصحِّحها عن غير طريقه بالضَّوابط المعروفة في هذا الفن. أمَّا طلب العلم عن أهل الأهواء والبدع فقد منعوه كأصلٍ من أصول منهج السَّلف وموقفٍ من مواقفهِم تجاه أهل الأهواء والبدع.

فاحتجاج بعض الجُهَّال والمتعالمين أو أصحاب الأغراض المائعين من حملة بعض الشَّهادات بما تقرَّرَ في شأنِ الرِّواية للحديث النَّبويِّ لتجويز أخذ العلم عن أهل الأهواء والبدع فإنَّه يُنْبِئ عن؛

أ– جهلٍ بهذا العلم ومنهاجه عند السَّلف.

ب– عدمِ فهمٍ سليمٍ.

ج– مصادمةٍ لمنهج السَّلف وعقائدهم وأصولِهِم في هذا الباب الخطير!!

د– تغريرِهم بالمسلمين وشبابهم.

هـ– غرضٍ وهوىً وتلبيسٍ وتوافقٍ مع المخالفين!!

و– تمكينِهِم لأهل الأهواء والبدع من المسلمين وشبابهم من أهل السُّنَّة –خاصَّةً– بهذه الحجَّة لإضلالهم وحملهم على ما هم عليه من الهوى والضَّلال.

ز– تعظيم وتوقير أهل الأهواء والبدع، وتصحيح مذاهبهم أو بعضها!! بطريقٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشر.

ح– صرف الأمَّة الإسلاميَّة وشبابها عن العلماء السَّلفيِّين وطلاَّبهم ومنهجهم؛ ومن ثَمَّ:

ط– تضييعهم لها ورميهم بها في محاضن أهل الأهواء والبدع والشَّرِّ!!

١٢. عدم الظُّهور في محافلهم ومجالسهم وتجمُّعاتهم.

١٣. عدم مساكنتهم.

١٤. عدم جوارهم بل ترك الطريق الذي يسيرون عليه.

١٥. عدم تزويجهم.

١٦. عدم التَّزيي والظُّهور بما تميَّزوا به من الزِّيِّ واللِّباس والمظاهر الخاصَّة بهم.

١٧. عدم مناظرتهم ومجادلتهم وخصومتهم بعد بيان الحقِّ لهم وإظهاره إلا القليل النَّادر وكان الدَّافع إليه معتبراً ومؤدِّياً إلى الخير.

١٨. التَّضييق عليهم وعدم تمكينهم في الأرض.

١٩. عدم اتِّخاذهم بطانةً وصحبةً وسرَّاً وشورى.

٢٠. التَّشهير بهم وبيان ضلالهم.

٢١. بغضُهُم وعدم محبَّتهم ومودَّتهم ومؤانستهم والانبساط والضَّحك والتَّبسُّم لهم.

٢٢. عدم الثَّناء عليهم وذكر محاسنهم، بل ذكرهم بما يجرحهم (ممَّا ثبت عليهم) ليحذرهم الناس كافَّة.

٢٣. عدم تعليمهم وتمكينهم من العلم الشَّرعيِّ ومحافله.

٢٤. عدم أمنهم والرُّكون إليهم.

٢٥. كشف حيلهم وأساليبهم في التَّضليل والتَّلبيس على الأمَّة؛ من الكذب، وبتر النُّصوص وتحريفها، والتَّقاعيد والأصول الباطلة.

٢٦. عدم الاغترار بما يظهرونه من الخير وأعماله؛ كالعلم، وقراءة القرآن، وحسن التَّعبُّد، والغيرة –بزعمهم– على الإسلام وأهله، بل ذلك حَمَلَهم ويحملهم على التحَّذير منهم بأقصى درجات التَّحذير لأنَّهم يغرُّون الأمَّة ويخدعونها بهذه المظاهر وأنواع الخير التي وللأسف خدَعَتْ وتخدع الكثيرين من المسلمين وشبابهم!!

٢٧. الحكم على من صاحَبَهم ونزَلَ عليهم وظهَرَ معهم أو أثنى وأشادَ بهم أو قرَّر ما قرَّروه من الأهواء والمخالفات بما هم عليه من الضَّلال والانحراف، وامتحان من لم يظهر حالُه بذلك؛ فيقولون: "**إذا رأيت الرَّجل يمشي مع أهل البدع فألحقه بهم**"، و"**من خفِيَت علينا بدعتُه لم تخف عنَّا صحبتُه!**"، و:

لا يَصْحَب البدعيّ إلا مثله * تحتَ الدُّخانِ تأجُجُ النِّيرانِ...**

٢٨. وهذا الامتحان والاختبار بأهل الأهواء والبدع معروفٌ مشتهرٌ عند أهل السُّنَّة السَّلفيّين قديماً وحديثاً لا يردُّه إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوى وبدعةٍ يخشى على نفسه وأحزابه من الانكشاف وبيان حالهم للأمَّة فتنصرف عنه وعن شاكلته!!

٢٩. عدم الاستماع إليهم، حتى إلى ما يقرؤونه من القرآن والسُّنَّة والآثار وأبواب العِلم.

٣٠. إبعادُ النَّاشئة والشَّباب عنهم بكلِّ سبيلٍ.

٣١. التَّحذيرُ من كُتُبِهِم وإفسادُها ولو بحرقها! كما أفتى بعضُ العلماء بحرقِ كتاب (إحياء علوم الدِّين) للغزاليّ!!

أما ما يفعله بعض أهل البدع كالحدَّاديَّة مِن حرق كتب ابن حجر والنَّوويّ!! لأجل ما فيها من بدعٍ وأخطاء فهذا من البدع والضلال!، ويقال كما قال العلماء: الخطأ يُنَبَّهُ عليهِ ويُحَذَّرُ منه سواءً وقع من ابن حجر أو النَّوويِّ أو غيرهما –رحمهما الله تعالى– حتى لا يقع فيه المسلمون وطلاَّب العلم خاصَّة.

والأصل في كتبهم نصرة السُّنَّة والحق والشريعة، وما وقعَ منهم جاء عرضاً لعدم ظهور الحق لهم في هذه المسائل التي أخطؤوا فيها كما أخطأ من علَّمهم من شيوخهم من الأشاعرة. وابن حجر –رحمه الله– في ذلك أخفُّ وطأةً من النَّوويِّ –رحمهما الله تعالى–، وقد طغت الأشعريَّة في زمنهم وضعف صوت الحق والسَّلفيَّة –وإن كان بحمد الله موجوداً–، وقد كانا يحاربان البدع والضَّلال وينافحان عن الحق ولم تقم عليهما الحجَّة في أخطائهما من قِبَلِ العلماء في ذلك الزَّمان، بل ابن حجر –رحمه الله– كان ينصرُ مذاهبَ السَّلف في عدَّة مواضع ولكنَّه يضطرب في أخرى لذا لم يحكم العلماء عليهما –وغيرِهما مع بيان أخطائهما– بالبدعة (أنَّهما مبتدعةٌ) ومن ثَمَّ يحكمون على كتبهما كما حكموا على غيرها. ثُمَّ ما فيها من أخطاء معلومة محصورة بحمد الله.

٣٢. عدم عيادةِ مرضاهُم وزيارتِهم.

٣٣. عدم الصَّلاة عليهم واتِّباع جنائزهم.

٣٤. عدم التَّرحُّمِ عليهم.

٣٥. عدم النُّزولِ عليهم في دُورهم ومحالِّهم وحطِّ الرِّحال في دائرتهم.

٣٦. الحكم عليهم بألفاظهم وأقوالهم وعباراتهم وإطلاقاتهم، والامتحان بها؛ كقول بعض السَّلف: **"من علامات أهل البدع: تسميَتُهم أهلَ السُّنَّة بالمجسِّمة أو الحشويَّة أو النَّواصب**... إلخ".

ومن علامات أهل البدع اليوم: تسميتُهُم السَّلفيين -علماء وطلاَّباً- جاميَّة، ومَدَاخِلَة، وحاشية السلطان وذيله، وحدَّاديَّة!!!...إلخ.

٣٧. عدم إدخالِهم عليهم والإذنِ لهم بدخول بيوتهم....

إلى غير ذلك من المواقف التي ثبَّتها سلفُنا الصالح -رحمهم الله- كتابةً وتطبيقاً. وهذه المواقف لا تجري على المبتدعة الذين أقام عليهم السلفُ الحججَ والبراهين فحَسْب بل هي عامَّةٌ على كلِّ صاحب بدعةٍ وخطإٍ بُيِّنَ له ونُصِحَ وحُذِّرَ ولم ينتفع ويرجع إلى الحق وطريقه، وهذا الصِّنف إن لم يبدِّعه العلماء لا يعني ذلك عدم الحذر منه والمفارقة والابتعاد عنه وبيان أخطائه وانحرافاته لتكون الأمَّة على درايةٍ وحذرٍ وحيطةٍ في أمرِ دينها!! ثمَّ كلُّ موقفٍ من هذه المواقف بحسبه بالنظر إلى المخالف ومخالفته يُرْجَعُ فيه إلى أهل العلم السَّلفيين لبيان حكم الشَّرع فيه؛ حفاظاً على دين الإسلام وصيانةً للأمَّة وشبابها من الخطر والضَّلال والضَّياع.

٣٨. هجرُهُم ومفارقتُهُم.

٣٩. عدم تقويتهم وتكثير سوادهم. ويدخل في ذلك عدم دعمهم بالمال؛ لأنَّه سبيلٌ لقوَّتهم ونشر فسادهم وضلالهم واتِّساع دائرة انحرافهم. ومن ذلك -في عالم اليوم- تمكينهم من إقامة الدَّورات العلميَّة والمحاضرات، وطباعة كتبهم ومؤلَّفاتهم وتوزيعها... إلخ! وبذل المال لأجل ذلك لهم!!